باب

فى ذم المرأة من حيث أنها زوجة حمقاء جاهلة وربة بيت بذيئة خرقاء عاطلة

سعادة الأسرة وشقاؤها متوقفة على المرأة، فالعاقلة ترقى بزوجها وأولادها إلى أوج السعادة والراحة والهناء، والحمقاء تهوى بزوجها وأولادها إلى مكان سحيق من النحوس والتعب والشقاء، وكثيراً ما يكون خراب البيوت وهلاك النفوس بسبب النساء ولعظم ضررهن كان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه "اللهم إنى أعوذ بك من امرأة تشيبنى قبل المشيب" وفى حديث آخر "ثلاث من الفواقر، إمام إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار إن رأى خيراً دفنه، وإن رأى شر أشاعه، وامرأة إن حضرت آذتك، وإن غبت عنها خانتك" - رواه الطبرانى عن فضالة بن عبيد - وفى حديث آخر "ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يستجاب لهم، رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يشهد عليه، ورجل آتى سفيهًا ماله وقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) - رواه الحاكم عن أبى موسة الأشعرى - وفى حديث آخر "أربع من الشقاء، المرأة السوء، والجار السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء".

باب

فى بيان ما تدل عليه مادة النساء

من الأمور المكابقة للواقع فى الغالب أن لكل مسمى من اسمه نصيبًا؛ لذلك أن واضع الأسماء فى الأصل قارن ووافق بين الاسم ومسماه حين وضعه ومشت عليه اللغة، ومن ذلك كلمة النساء فإنها مأخوذة من النسأ وهو الزجر والدفع والسوق والتأخير، تقول: نسأت البعير أى زجرته، ونسأته عن الحوض دفعته، ونسأته سقته، ونسأت الشىء إلى وقت آخر أخرته، ونسئت المرأة تأخر حيضها عن وقته، والنسأ بفتح النون الشراب المزيل للعقل، واللبن الرقيق الكثير بالماء، وخلط اللبن - والنسأ بضم النون التأخير أيضًا كالنسيئة، والنسأ بفتح النون والمد التأخير فى العمر، ومنه قول علماء الطب: من سره النساء فليخفف الرداء (الدين) وليباكر الغداء، وليقل غشيان النساء. والمنسأة بكسر الميم العصا، والانتساء التباعد، والانسناء الابعاد. ومقلوب نسأ أسن، يقال أسن الماء إذا تغير طعمه أو ريحه، وأسن الرجل إذا دخل بئر فأصابته منها ريح منتنة. وكل هذه المعانى موجودة فى النساء وبينها وبينهن تلازم.

مثال الدفع قوله ﷺ للنساء اللاتى رآهن يتبعن جنازة "ارجعن مأزورات غير مأجورات" فدفعهن عن اتباع الجنائز.

ومثال السوق قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) أى مدبرون أمورهن وسائقهن لما فيه الخير لهن، إذ المرأة لا كفاءة فيها لإدارة أمورها بذاتها، فلابد لها من قائم عليها وسائق يسوقها لنحو ما فيه صلاحها، فإنها لو تركت ونفسها لكانت تسرح وتمرح من غير تبصر.

ومثال التأخير قول عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما: أخروهن

(أى النساء) من حيث أخرهن الله. أى فإن الله أخرهن عن الرجال فى الميرات وفى الصلاة وفى الجنائز وفى كثير من الأحكام.

ومثال الزجر كل ما جاء فى القرآن والحديث من النهى لهن قزلا وعملا ومثال النسأ بمعنى الشراب المزيل للعقل قوله ﷺ "ما رأيت من ناقصات عقل أذهب للب الرجل منكن".

ومثال النسأ بمعنى اللبن الرقيق الكثير الماء قوله صلى الله تعالى عليه وسلم "المرأة خلقت من ضعف وعورة" الحديث. بجامع قلة الجدوى فى كل منهما.

ومثال النسأ بمعنى خلط اللبن قوله ﷺ "حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة" فقد أفاد هذا الحديث أن حملهن وولادتهن وإرضاعهن لأولادهن ورحمتهن لهم لم يفدهن ثوابًا إذ قد خلطن ذلك بأذيتهن لأزواجهن كاللبن لما خلط بالماء ذهبت فائدته.

ومثال المنسأة وهى العصا قوله ﷺ "لا ترفع عصاك عن أهلك" أى لا تتركهن وشأنهن من غير مراقبة لهن، ويجوز أن يكون المراد نفس العصا حيث يجوز للرجل أن يضرب زوجته ضربًا غير مبرح لقوله ﷺ "علقوا السوط بحيث يراه أهل البيت".

ومثال الانساء - وهو الابعاد - ما تقدم من قول ابن عباس: أخروهن.

ومثال الانتساء وهو الابتعاد قوله تعالى حكاية عن مريم أم عيسى عليهما السلام (فحملته فانتدب به مكانًا قصيًا).

ومثال الأسن وهو مقلوب النسأ قوله ﷺ "أيما امرأة وضعت ثيابها فى

غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل"[1] ومثال الأسن بمعنى دخول الرجل البئر وإصابته من ريحها قوله ﷺ "لأن يزحم رجل خنزيراً متلطخًا بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له" اهـ والنساء فى اللغة اسم جمع لا مفرد له من لفظه بل له لفظ مفد من معناه وهو لفظ المرأة، وفى هذا إشارة إلى أن المرأة لا يعتد بها لذاتها وشخصها بل هى محتاجة للتجمع والانضمام، وإنما يكون ذلك بالزوج أو الولى القائم عليها المدبر لأمرها مهما تكن كبيرة عاقلة مدبرة على أنه لكل قاعدة استثناء، ولكل عموم خصوص، والكمال لله وحده.

(١) وأورده الترمذى بلفظ: هتكت الستر بينها وبين ربها. مصححه.

obeikandl.com

باب

فى كراهية العرب للنساء وما لذلك من سبب واقتضاء

كراهية العرب للإناث متأصلة فى نفوسهم، متوارثة عن أسلافهم. وإنما تتفاوت درجاتها بتفاوت درجات البداوة والحضارة، فالمرأة عندهم أقل قيمة وأدنى درجة من الحيوان الرابض فى أكفانهم. وقد كان من كراهيتهم للنساء أنهم يئدون بناتهم - أى يدفنوهم أحياء - أو أنهم يدعوهن عرضة لكل إذلال وإهانة كما قال الله تعالى حكاية عنهم (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه بالتراب ألا ساء ما يحكمون) فقد غاب الله تعالى عليهم صنعهم هذا وتوعدهم عليه بالعذاب يوم القيامة كما قال تعالى (وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت). ومن كراهيتهم لهن أحد ثوافيهن الأمثال فقالوا: دفن البنات من المكرمات. قال بعض الشعراء:

جعلت فداك من النائبات ... ومتعت ما عشت فى الطيبات

سروران ما لهما ثالث ... حياة البنين وموت البنات

واصدق من ذين قول الحكيـ ... ـم دفن البنات من المكرمات

وقال عبد الله بن طاهر المتوفى سنة ٢٣٠:

لكل أبى بنت إذا ما ترعرعت ... ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر

فزوج يراعيها وبيت يكنها ... وقبر يواريها وخيرهم القبر

وفى كتب الأدب أنه ماتت لرسول الله ﷺ ابنه فحار الصحابة كيف يعزونه ﷺ فبينما هم قاعدون مطوقون إذ دخل أعرابى فقال: يا رسول الله مؤنة كفيت، وعورة سترت، ونعم الموت المهر، والصهر القبر. فتبسم رسول

الله ﷺ وسرى عن الصحابة. قال الكمال أحسن الله تعالى إليه وقد عقدت هذا القول فقلت:

هل يعلم المرء من قد ماتت ابنته ... بأنها نعمة تستوجب الشكرا

مؤونة كفيت بل عورة سترت ... وحبذ القبر صهراً والردى مهرا

ويقال تقديم الحرم من النعيم. وفى الحديث "نعم الختن القبر" وكان الأستاذ الطبرى رحمه الله تعالى يقول: ليس شيخًا من لا بنت له وإن كان ابن تسعين، ولا شابًا من له بنت وإن كان ابن عشرين ا هـ وقيل لأعرابى ما ولدك؟ فقال قليل خبيث، قيل وكيف ذلك؟ قال لا عدد أقل من الواحد، ولا خبث أخبث من بنت. وقيل طولى لمن خطب إليه الدهر، وصاهر القبر، ووضع فى ميزانه الأجر. وفى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى المتوفى سنة ٣٥٦ فى أخبار حسان بن ثابت الصحابى المتوفى سنة ٥٤ رضى الله تعالى عنه أنه لقى جر ولا الشاعر المعروف بالحطيئة العبسى، فسأله عن كنيته فقال أبو مليكة، فقال له حسان: ما كنت قط أهون على منك حين كنيت بامرأة ا هـ ومن كراهية العرب للإناث استعمالهم لهم كلمات مضافة للفظ بنت وبنات فيما يا يحمد أو لا يستحسن فى الغالب، كقولهم للخمرة بنت الحان، وللداهية بنت الدهر، وللمصائب بنات غير (كعمر) وللقمل والصئبان بنات الدروز، وللحوادث بنات الدهر، وللسهام بنات المنايا، وللأحلام بنات الليل، وللإبل بنات الفلا، وللسمك بنات دجلة، وللوحش بنات القفر، وللعذارى بنات الخدور، وللرغفان بنات التنانير، وللأوتار بنات الله. وقد استعملت الشعراء البنت والبنات فى أشعارها ومنه قول المتنبى المتوفى سنة ٣٥٤:

أبنت الدهر عندى كل بنت ... فكيف وصلت أنت من الزحام

أراد ببنت الدهر الحمى وقد أصابته، وقال أيضًا:

وما أظن بنات الدهر تتركنى حتى تسد عليها طرقها هممى

والسبب فى كراهية العرب للنساء هو أن الحارث بن هبولة الغسانى غزا قوم الحارث بن عمرو والكندى فسبى زوجته هذا فوطئها، ثم ألحقه زوجها الحارث بن عمرو وقتله واسترجع امرأته، فسألها هل نال منك؟ فقالت نعم والله ما اشتملت النساء على مثله، فأوثقها بين فرسين ثم استحضرهما فجريا وهى مربوطة بينهما حتى تقطعت إربًا وقال فى ذلك:

كل أنثى وإن بدا لك منها آية الحب عهدها خيتعور

إن من غره النساء بو بعد هند لجاهل مغرور

الخيتعور كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب. فعمدت العرب من ذلك الحين لوأد بناتها كى لا يكن مثلها حرصًا على العرض وحفظًا للنسب للذين هما أنفس شيء وأشرفه عندهم. ولما كانوا أهل حرب وضرب يشنون الغارات، ولا يقعدون عن الأخذ بالثأر، أخذتهم الحمية أن يكون فى نسائهم وبناتهم من تسبى أو توطأ فتختلط المياه ويفسد النسل والأخلاق والطباع، عمدوا إلى واد البنات وإن كان فى ذلك نقص عددهم حفظًا لكيانهم، فإن الغيرة على العرض أهم ما تعنى به العرب لكنهم أفرطوا فيه إفراطًا عيب عليهم ومن غريب ما علمته عن كراهية النساء ما ذكره ابن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ فى كتابه ثمرات الأوراق، قال الشهاب محمود (المتوفى سنة ٧٢٥) كان الشيخ تقى الدين السروجى (المتوفى سنة ٦٩٣) مع دينه وورعه وهده يكره مكانًا فيه امرأة، كنا يومًا فى دعوة فأحضر صاحبها شواء وأمر بإدخاله إلى النساء ليجعله فى الصحون، فلما أحضر تقرف منه الشيخ تقى الدين وقال: كيف يؤكل وقد مسسته بأيديهن؟!

باب

فى أن النساء سبب المفاسد والفتن، فى كل مكان وزمن

وكأن إثارة هذه المفاسد من لازمهن، لا يتخلين عنه ولا ينفك عنهن. فلا تكاد تسمع بفتنة أو بفساد إلا ومنهن أو بسببهن، حتى إن الفرنسويون إذا سمعوا بشيء من ذلك قالوا فى الحال: ابحث عن المرأة؟ أى ابحث عنه تجده من المرأة. وقد قص الله تعالى علينا فى القرآن الكريم كثيرًا من القصص فى المفاسد والفتن كان سببها النساء، منها قصة خروج سيدنا آدم من الجنة، وقصة هاروت وماروت، وقصة قتل قابيل أخاه هابيل، وقصة فتنة بنى إسرائيل التى بسببها اشتريت البقرة بوزن مسكها (بفتح الميم جلدها) ذهبًا وذبحت وضرب الميت ببعضها فحيى وقال قتلنى فلان ثم رجع ميتًا كما كان؛ وتبين أن قتله كان بسبب النساء. وقصة ابتلاء سيدنا يوسف عليه السلام بزليخا امرأة العزيز بمصر، وقصة خيانة امرأتى نوح ولوط عليهما السلام، وقصة فتنة داود وابنه سليمان عليهما السلام، وغير ذلك مما لم يذكر فى القرآن كثير. قال فى كتاب بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠.

من فتنة النسوان كم يعصى الفتى ... أمر الإله بطاعة الشيطان

واللص لولاهن كم بك بائعًا ... للروح منه بأبخس الأثمان

قابيل لولاهن لم يقتل أخا ... ه ولا رضى بالذل والخسران

وبهن صار لآدم ولیوسف ... ما قد حكاه الله فى القرآن

وكذا سليمان وداود بما ابـ ... ـتليا به من غابر الأزمان

مجنون ليلى جن فى حب النسا ... كل الأذى يأتى من النسوان

كن ما استطعت عن النساء بمعزل ... إن النساء حبائل الشيطان

كثرة النساء وقلة الرجال

فى الحديث الشريف "ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب فلا يجد أحدًا يأخذها يأخذها، ويرى الرجال الواحد قد تبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء" - رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى - وفى حديث آخر "إن من أشرط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد" - رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة عن أنس - وفى حديث آخر "لا تقوم الساعة حتى يكون لخمسين امرأة واحد" وقول الرسول ﷺ حق وصدقة، فإنه لا ينطق عن الهوى. فقد قال بعض رجال الاجتماع فى إيطاليا إن فى أوربا أربعمائة وخمسة وسبعين مليونًا من النفوس، منها مائتان وخمسون مليونًا من النساء فهن يزدن على الرجال بخمسة وعشرين مليونًا. وقوله هذا كان قبل وقوع الحرب العالمية التى وقعت سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م.

وكنت اطلعت فى بعض الجرائد بعد انقضاء الحرب المذكورة على إحصاء وضعه بعض المتتبعين لما أحدثته الحرب من المنافع والمضار، فذكر أن فى مقابلة كل رجل خمسًا وثلاثين امرأة، هذا والقيامة لم تقم بعد. ومن إحصائه هذا يظهر صدق ما جاء فى الأحاديث الشريفة عن كثرة النساء وقلة الرجال، وفصل ذلك المتتبع نسبة الرجال والنساء فى بعض الممالك فقال: فى ألمانيا مقابل كل ألف ذكر ألف وست وعشرون أنثى، وفى روسيا ألف وأربعمائة أنثى، وفى أمريكا ألف ومئة أنثى، وفى فرنسا ألف واثنتان وتسعون أنثى؛ وفى تركيا ألف وخمسمائة أنثى.

باب

فى ذكر ما فى النساء، من طبائع بعض الأشياء

فى المرأة عمق البحر، ومد الأمواج وجزرها، ولمعان النجوم، وحرارة الشمس، وقطرات الندى، وتقلب الرياح، وارتجاف النبات، ولون الأزهار وعطرها وخفة أوراقها، وتمايل الأغصان، ولطف النسيم، ونشوة الراح، وطعم العسل، ووهج الذهب، وقسوة الماس، ولين الحية ونعومتها، وتلون الحرباء، ونفار الغزال، وعيون المهى، وحياء الأرنب، وخيلاء الطاووس، وشراسة الأسد، ومكر الثعلب، ولسعة العقرب، ونغمة اليمامة، وهذيان الببغاء، وكثرة كلامها، فهى - أى المرأة - تتكلم بلا انقطاع؛ وتبكى بلا سبب، وتشكو من أقل شىء، وتتألم من لا شىء. ولا ينتهى لها طلب، ولا ينقضى لها عجب، ومع ذلك فحياة الرجل بدونها حياة وحدة وانفراد، ومعها حياة تعب وشقاء، فلا خير فيها ولا غنى عنها. قال ابن الرومى.

ويلاه إن هى أقبلت أو أدبرت وقع السهام ونزعهن أليم

معرفة عمر المرأة من أنواع الطعام الذى ترغب فيه

يقال إنه يمكن الاستدلال على عمر المرأة من أنواع الأطعمة التى تحبها، فالميالة إلى الحلويات تكون دون العشرين، والتى بين عشرين وخمس وعشرين تميل إلى الموالح والحوامض، والتى بين خمس وثلاثين تحب الثمار والفاكهة حبًا جمًا، والتى بين ثلاثين وخمس وثلاثين تزداد رغبتها فى لحم الفراخ والسمك، والتى بين خمس وثلاثين وأربعين تطلب لحم البقر والضأن أكثر من غيرهما، ولا حاجة للكلام على من هى فى الأربعين فما فوق لأن عمر المرأة لا يمكن أن يزيد عندها على أربعين ولو كانت بنت ثمانين!!

باب

فى ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار

كاد يكون تسلط النساء الأشرار على الرجال الأبرار أمرًا طبيعيًا لا مفر منه، ولا مندوحة عنه. حيث لم يخل منه نبى مرسل؛ ولا ولى مبجل، ولا حكيم محترم، ولا أمير نافذ الكلم، ففى تاريخ الخلفاء للجلال السيوطى المتوفى سنة ٩١١ أن جابر بن عبد الله جاء إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما يشكو إليه ما يلقى نم النساء فقال عمر: إنا لنجد ذلك حتى إنى لأريد الحاجة فتقول لى ما تذهب إلا إلى فتيات بنى فلان تنظر إليهن. فقال له عبد الله بن مسعود: أما بلغك أن إبراهيم عليه السلام شكا إلى الله تعالى خلق زوجته سارة فأوحى إليه أنها خلقت من ضلع فألبسها على ما كان فيها ما لم تر عليه وصمة فى دينها. اهـ ولما أكثر أزواج النبى ﷺ العنت والإرهاق فى طلباتهن التى طلبها أنزل الله على نبيه ﷺ قوله (يا أيها النبى قل لأزواجك إن منتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلا، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا) فاخترن الله تعالى ورسوله وكففن عن طلباتهن خوف أن يطلقن. وكان سقراط الحكيم المتوفى قبل ظهور سيدنا عيسى عليه السلام بأربعمائة سنة مبتلى على فضله ومعرفته وحكمته بتسلط زوجته زانتيبى عليه واضهادها له، وكراهيتها لعمله وفلسفته، حتى إنه كان إذا جاءه زائر ليتحدث معه يقول له اخفض صوتك لا تسمعك زانتيبى فتثور علينا. وأكره ما تكرهه المرأة من زوجها اشتغاله بالعمل والدين والدرس، حكى لى بعض الأصحاب أنه هو مع زوجته من قبيل سقراط مع زوجته، وأنه إذا أراد أن يقرأ عليه كتابًا أو يهىء ما يجب عليه القاؤه للمتعلمين عنده، عمد إلى حجرة

وأغلق عليه الباب واستوثق منه بالرتاج وأخذ فى قراءته، فتأتى زوجته وتقلق فكره بضرب الباب والصياح والجلبة وهو لا يبالى بها حتى ينتهى من قراءته. وكم وكم من رجل دين وأدب وعلم يقاسى من تسلط زوجته عليه وبغيها وعدوانها وفحش مقالها ما لا تصبر عليه الجبال، وهو يصبر على نكرها وضرها محتسبًا ما أصابه من شرها عند الله تعالى العليم بخفايا الأمور وظواهرها، ذلك الرب الحكم العدل الذى لا يضيع لأحد مثقال ذرة من عمل عمله إن خيرًا وإن شرًا، والذى يدعوه إلى تحمل هذه الشدائد منها وصبره عليها خوفه على أولاده أن يتشتت شملهم، ويضطرب أمرهم. لا سيما إن كانوا أطفالا صغارًا، والمحاكم الشرعية تنتصر فى أكثر الأوقات للنساء على الرجال فيحكمون عليه لها ولأولادها منها بأحكام جائرة لا طاقة له بها، فيجد نفسه فى ويل وشر كيفما كان الحال بقاءًا، أو افتراقًا. فيؤثر البقاء منتظرًا من ربه السميع المجيب فرجه القريب إما باجتياحها أو إصلاح حالها، هذا مع كونه يسالمها ويداريها ويضاحكها ويظهر لها كل حب ليأمن على نفسه من شرها، ولربما إذا شق عن قلبه رؤى فيه كراهيته لها خفية كما تكرهه هى علنًا. ومن الجماعة المبتلين بسوء أخلاق زوجاتهم من يدعو الأدعية المؤثرة طالبًا من الله خلاصة مما هو فيه، على الوجه الذى يريده الله ويرتضيه، ومنهم من ينظم القصائد ويقول الأشعار بذلك ليهون على نفسه العبء الذى يحمله، ومنهم من يشكو زوجته للقريب والبعيد، وهذا ليس فيه فائدة بل يدل على ضعف إرادة الشاكى. وماذا عسى أن يعمل له الغريب أو القريب إذا كان هو عاجزًا عن إصلاح ما بينه وبين زوجته؟ وهذا دعاء من رجل صالح مبتلى بامأرة سوء وجهه إلى الله تعالى يرجو من فضله وكرمه تحقيق إجابته:

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الذليل، إلى الرب الجليل، رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين. اللهم إنك العالم بالسرائر، المطلع على خفيات الضمائر، الغنى بعلمك، عن إعلام خلقك. أشكو إليك ما ألاقيه، وأكايده وأقاسيه، من زوجتى، متعبتى ومزعجتى، وليس لى طاقة على دفع ظلمها، وتجرع كأس سمها، بضربها لى شمتها. فخذ لى بحقى منها، وابعدها عنى وابعدنى عنها. فإليك لجأت مستعيذاً بك من شرها، مستجيراً بك من ضرها. وليس ضررها مقصوراً على، بل يتناول كل من حوالى. ونحن فى أيديه أسرى، قلوبنا حسرى، وأعيننا عبرى. وجميعنا فى أمرنا حائرون، على أننا على ابتلائنا بها صابرون. ننتظر فرجك القريب، يا سميع يا بصير يا مجيب. وأنت يا ربنا تعلم وترى، وتسمع كل ما منها جرى، وقد حاكمناها إليك، متوكلين فى إنصافنا منها عليك، متوسلين بسيد البشر، الذى دعا من شدة ما لقيه على مضر. وهو من الأنبياء أولى الصبر والعزم، وذوى العلم والفهم والحلم، ولكن إذا تحملت الأجساد ما لا تطيق، تكلمت الألسنة بما لا يليق ومطلوبنا منك أحد أمرين، وهما عليك أهون من كل هين، إما إصلاحها، أو اجتياحها، وها قد رفعنا ظلامتنا إلى ساحة عدلك، واثقين بكشف ما نشكوه منها بمحض فضلك، فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين، يا حسيب الظالمين يا ولى المظلومين.

وهذه أبيات لقائلها يشكو بها إلى الله تعالى زوجته وسوء أعمالها:

يا رب نعماك عندى غير ناقصة ... وإن ترانى أدعو فى استزادتها

وليس بى حادث أشكو تأمله ... بقدر ما زوجتى تؤذى بعادتها

غطى على كل ما أشكو أذى امرأتى ... وما به تنتحينى من إساءتها

ترى وتسمع يا ربى فعائلها ... وما على توالى من بذاءتها
ظلمًا وبغيًا وعدوانًا وغطرسة ... وكل ذلك منها بعض آفتها
لم يخل يوم وأنت الله مطلع ... من سوء ما فيه تأتى من شناعها
ويستمر أذاها وهو متصل ... بكل سوء ونكر من فظاعتها
مصيبة نكبة كان الزواج بها ... يارب بت اتصالى من علاقتها
وارحم فقيرك مما قد ألم به ... فإنه فى بلاء من حماقتها
وقد صرفت جميع الوسع مجتهدًا ... إلى مداراتها بل فى سياستها
فما عرفت لها ما تستقر به ... وهكذا حالتى تمحى بحالتها
وكل من لم يصدق ما أقول بها ... بمثلها يبتلى أو بعض ساعتها

... وهذه قصيدة لقائلها يتبرم من زوجته أيضًا:

قد لزمت الصبر فى كل الأمور ... أتقى شرك يا ذات الشرور
وتخليت عن الراحة فى ... كل شىء خوف إيعاز الصدور
أدخل الدار كأنى أخرس ... وأصم ليس عندى من شعور
عائذًا بالله من شرك لا ... شر شيطان رجيم خيتعور
وأغض الطرف عما قد أرى ... من فعال كلها لؤم وزور
يا (جميلة) اسمًا بلا فعل وهل ... ينفع الأموات عمران القبور
إن فى قلبى جرحًا داميًا ... كلما ضمدته أضحى يفور
فإذا ما ترينى ضاحكًا ... إنما أظهر بالقهر السرور
أنت لى ظالمة دون انتهاء ... وأنا المظلوم لكنى صبور

ومع الصبر فإنى واثق ... بانتقام الله من كل كفور
فافعلى بى كل أنواع الأذى ... واستطيلى بسفاه وفجور
ربى الله شهيد حاضر ... وسميع عالم كل الأمور
سوف يجزيك جزاء عادلا ... إن ربى فى جزاه لا يجور
كل ذنب لك لا أغفره ... إنما أنت كما الكلب العقور
كم تحملت وكن قاسيت من ... منكرات شرحها يحنى الظهور
كل يوم منك شر حادث ... من شظايا وقعه تغلى القدور
كل يوم منك خلف ناجم ... يحزن القلب ويطفى كل نور
وفعال ليس تحكى رذلة ... ومقال منكر بادى الفجور
فاذكرى إن شئت أولا تذكرى ... من أمور وأمور وأمور
فهو شىء ليس يحصى عده ... كاتب يكتب فى هذى السطور
هذه حالى وهذى زوجتى ... عندها الصبر ولا شك يخور
يا لها من زوجة سليطة ... كيدها يفتك بالليث الهصور
سمها سم الأفاعى دونه ... حينما ينفث فوها أو تثور
لا حلال لا حرام عندها ... غير ما تهوى وما منه نفور
تكره الدين وما يتبعه ... من صلاة وصيام وطهور
كتب العلم لديها آفة ... إن رأتها فهى تغلى وتفور
آه واصبرى على ما أصطلى ... من شرور فاترات لا تغور
شيبتنى قبل شيبى فأنا ... مع شبابى صرت كالشيخ الوقور

وقال رجل مرضت امرأته فماتت:

وأهنأ أوقاتى التى قد قضيتها ... بعشرة زوجتى تلك من لا أسميها
ليالى كانت فى الفراش طريحة ... تكابد آلامًا لقد أثرت فيها
فقد خفت عنى حمل متعب شرها ... وأحسست من روحى بروح يحييها
ومع حالها هذى فما كنت سالمًا ... من اللسع والتعريض باللئيم من فيها
وكم كنت أدعو الله عالم حالتى ... لها باجتياح أو صلاح يهديها
وطالت على الاستجابة مدة ... ظننت بها أن ليس ربى يلبيها
ولكن عدل الله لابد واقع ... فقد هده من بعض بطش يقويها
وأمرضها فورًا ليالى أربعا ... وألحقها بالميتين من أهليها
عفا الله عنها قد أقلت عثارها ... وسامحتها فالموت يا صاح يكفيها

وقال على إثر موتها:

الله فرج كربى ... من بعد ما اشتد خطبى
وضقت ذرعًا بنفسى ... ضيقًا كأصعب صعب
وكدت أيأس مما ... أرجوه من عون ربى
إذ قد دعوت ولكن ... ما كان ربى يلبى
لحكمة منه كانت ... فما لها قط منبى
واليوم حمدًا لربى ... على المحامد يربى
ماتت فلانة زوجى ... ومات ضيقى وكربى
ومات غمى وهمى ... ومات قحطى وجدبى

ومـــات أســـرى وقـــهـــرى ومـــات شـــتـــمـى وضـــربى
ومـــــات طـعـنـى بقـــومـى وسـب أهـلـى وصـــحـــبـى
ومـــــــات كـل بـلاء لقـــيـت منهـــا وحـــرب
ســامـحـتـهـا عن قـصـور فى حـــال بـعـــد وقـــرب
والله عـنـى وعـنـهـــــا يعـــفـــو وذلك حـــسـبى
فـــيـــا رياح ســـرورى عـلـى فـــــؤادى هـبى
ويـا لـقـــاح رخـــائى درى عـلـى وصـــــبى
ويـا ســـمـــاح إلـهـى أرجـــوك عـــفـــوً لـذنبى
آمـــنـــت أن إلـــهـــى يـجـيـب بـالمســتـحب
لـكـن يؤخـــر حـــيـنًـا من غـيـر مـثـبت سلب

وقال أحـمد رفعت بك عـضو مجلس المحاسبات العثـمانية فى كـتابه (لغات تاريخية وجغرافية) فى مادة مأتم ما ترجمته:

مات أحـد الأعيان فى مصـر فطلبوا فلانًا وهو نداب مشـهور فى المآتم وبذلوا له عطاء كثيـرًا (ثلاثة آلاف قرش) ليحضر مـأتمه ويندبه فأبى أن يجيب طلبهم معتذرًا بأن امرأته توفيت وهو فرح بموتها لما قاساه منها فى حياتها، فلا يمكنه أن يتصنع ويظهـر الحزن والكآبة فى يوم هو فيه فرح مـخافة أن يذهب تصنعه بشهرته.

وبعض المبـتلين يتلقى القضـا بالرضا، ويصـبر على ما أصـابه، ويتكل على الله عالم السر والنجوى، آخذًا قول سـيدنا الحسن السبط ابن سيدنا على رضى الله تعالى عنهما: من اتكل على حسن اخـتيار الله لم يتمن أنه فى غير

الحالة التى اختـارها الله تعالى له* قدوة حسنة يقـتدى بها وإذا رفع يده لمولاه يقـول. يارب علمك بحـالى يغنى عن سـؤالى. على أن لهـذه الورطة التى تورط بها مخلصًا وهو الطلاق، عملا بما رواه الحاكم وصححه عن أبى موسى الأشعـرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال "ثلاثة يدعـون الله عز وجل فلا يسـتجاب لـهم؛ رجل كانت تحتـه امرأة سيـئة الخلق فلم يطلقـها، ورجل كان له على رجل مال فلم يشـهد عليه، ورجل آتى سفيهًـا ماله" وقد قـال الله تعالى: (ول تؤتوا السـفهـاء أموالـكم) لكنه يتوقف عن بت الأمـر بالطلاق لأمور يجد أن تحـمله لشرها أهون وأخف عليه من تطليقهـا، لا حبًا فيها وكيف يحب من تؤذيه؟ بل لأسبـاب آخر وربما يعمل بحديث "من صبر على سوء خلق امـرأته أعطاه الله من الأجر مثل مـا أعطى أيوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون" وفى حديث آخر "لا يصيب أحدًا من المسلمين مصيبـة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم آجرنى فى مصيبـتى واخلف لى خيرًا منها إلا فعل ذلك به" - رواه الإمام أحـمد بن حنبل والبـيهقـى عن أم سلمة - وفى هذين الحـديثين ترويح للنفـس وتسليـة للقلب، وتأمـيل بنوال الـقصـد. الـلهم اجـعلنا من الصابرين (الذين إذا أصـابتهم مصيـبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجـعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون).

باب

فى عزة الكمال، فى النساء دون الرجال

الكمال فى النساء عزيز بضرب الحجاب عليهن، ومنعهن من الاختلاط بالرجال، وأمرهن بلزوم البيوت. حتى إن طلب العلم الذى هو فرض لسن مكلفات به مباشرة بل على أوليائهن أن يعلموهن اللازم لهن، ولذلك جاء فى الحديث الشريف "طلب العلم فريضة على كل مسلم" - رواه ابن عدى والبيهقى عن أنس والطبرانى والخطيب عن الحسين بن على والطبرانى أيضًا عن ابن عباس وابن مسعود وتمام عن ابن عمر والخطيب عن على والطبرانى والبيهقى عن أبى سعيد - ولم يذكر فى الحديث لفظ ومسلمة، ولكن من لا معرفة له بالحديث يلحقها به فيقول طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وحقيقة الحديث ما ذكرت. ومن نبغ النساء فإنما نبوغها عائدًا لأحد أمرين، إما أن تكون من بيت نبوة أو ولاية أو علم. فيكون نبوغها موهبة من الله تعالى وهبها إياها ببركة من هى منه، أو أن تكون من بيت وجاهة أو إمراة أو حكم فيقوم وليها بما يلزم من تعليمها، وغير ذلك لا يتيسر إلا قليلا. ونعنى بهذا النبوغ المحمود فى الدين والشرع، وذلك كتعلم أحكام الدين أصولا وفروعًا مبادئ ومقاصد، لا النبوغ المذموم فى الشرع والمردود عند العقلاء من أهل العلم، فذلك ليس من الدين فى شىء ولا يعبأ الله تعالى به ولا بمتعلماته ومتعلميه، ومن علمهم. وذلك بأن تعلم الرقص والعزف على آلات اللهو، وكل ما ابتدعه الأفرنج وعدوه من لازم الحضارة والمدنية. ومن ذلك إجادة فن التمثيل فى المسارح التى يجتمع إليها الدهماء فيقطعون وقتًا من عمرهم بالنظر إليه تليها وتسليًا تحت ستار التربية وتهذيب الأخلاق، اللهم إننا معشر المسلمين حقًا براءة من هذه التربية وذلك التهذيب لا تكتبه يارب علينا

ولا على ذريتنا من بنين وبنات. والدليل على عزة الكمال فى النساء دون الرجال قول الرسول ﷺ "مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم" رواه الطبرانى عن أبى أمامة (الغراب الأعصم الذى إحدى رجله بيضاء) وقوله ﷺ "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد" - رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد بن حنبل عن أبى موسى الأشعرى - وفى حكمة داود عليه السلام: وجدت من الرجال واحداً فى العدد، ولم أجد حدة فى النساء جميعًا ا هـ.

وهذه تراجم قسم من النساء الفاضلات ذكرتها لتقتدى بهن نساء أهل زماننا فيما يمكن الاقتداء به رغبة بحصولهن على السعادة إنشاء الله تعالى.

١ - آسية بنت مزاحم

هى امرأة فرعون وعمة سيدنا موسى عليه السلام كانت من خيار النساء المعدودات بشهادة رسول الله ﷺ حيث قال "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد" - رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد بن حنبل عن أبى موسى الأشعرى - كانت زوجة فرعون ملك مصر ولكن لم يكن يقدر أن يصل إليها بمنع إلهى حيث كانت مؤمنة وهو كافر، وكان مع ذلك محبًا مطيعًا لها لا يصدر إلا عن رأيها، ولها اليد الطولى فى إنجاء ابن أخيها سيدنا موسى من شر فرعون منذ كان طفلا حيث كان يقتل الذكور من المواليد ويستحى أى يستبقى الإناث، وذلك بسبب ما أخبره به بعض الكهنة أن سيكون هلاكه وزوال ملكه على يد ولد ذكر يولدمن بنى إسرائيل، وقد كان ولم يغن عنه حذره شيئًا. وعرف فرعون بعد أنها كانت مؤمنة محامية

عن سيدنا موسى عليه السلام فـأقسم بألوهيته لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله، فأبت أن تكفر فأمـر بها فمدت بين أربعة أوتاد وما زالت تـعذب حتى ماتت ولسانها لا يفتر عن ذكر الله، وقد أخبر الله تعالى عنها فى القرآن قالت (رب ابن لى عندك بيتًا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين) وقد جعل الله حالها مثـلا لحال المؤمنين فى أن وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كـانت فى الدنيـا تحت أعدى أعـداء الله عـز وجل، وهى فى الجنة فى أعلى غرفها رحمها الله تعالى.

٢ - مريم ابنة عمران

أم سـيدنا عـيسى عليـه السـلام آتاها الله من كرامـة الدنيا والآخـرة، واصطفاها على نساء العالمين فى زمانها، وأثنى الله تعالى عليها بأنها أحصنت فرجها، وأنهـا صدقت بكلمات ربها، وهى صحـفه المنزلة على إدريس عليه السلام وغيره. وكتبه وهى التوراة والإنجيل والزبور، وأنها كانت من القانتين، أى المواظبـين على طاعـة الله تعـالى وعـبادتـه - وهى من نسل هارون أخى موسى عليهما السـلام. ولم تكن نبية لأنه لا نبى من الإناث، وإنما هى سيدة نساء زمـانها ومن أكـملهن. روى الإمام أحمـد فى مسنده "سـيدة أهل الجنة مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية ثم عائشة.

٣ - آمنة بنت وهب

أم رسول الله ﷺ أعطاها الله تعالى من الجمال والكمال ما كانت تدعى معه حكيمة قومـها، ومن الفصاحة والبلاغة ما لم يسبقـها إليه أحد من نساء العرب تزوج بهـا سيدنا عـبد الله رضى الله تعالى عـنه والد النبى ﷺ ومات عنها وهى حـامل برسول الله ﷺ فلم تتـزوج بغيره بعـده، بل حافظت على وفائها له بالرغم من قصر المدة التى أقامـتها معه، وكانت تخرج من مكة إلى

المدينة حيث كان مدفونًا بالأبواء - على مقربة من المدينة - فتزور قبره إلى أن توفيت ولرسول الله ﷺ من العمر ست سنوات رحمها الله تعالى ورضى عنها. وهى وزوجها ماتا على الإيمان. ويروى أن الله تعالى أحياها إكرامًا لنبيه ﷺ فآمنا به ثم ماتا، ورحم الله تعالى وطنينا الشيخ حسين الجسر المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ. حيث يقول فى نظمه لقصة المولد النبوى الشريف:

أظآره أسلمن من بركاته ... وحوى فخارًا محتسى فضلاته

كيف الأصول الحاملات لذاته ... أفلا ينلن بجاهه التكريما

صلوا عليه وسلموا تسليما

٤ - خديجة بنت خويلد

زوج النبى ﷺ وأولى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وأول من أسلم من الرجال والنساء تزوج بها النبى ﷺ بعد زوجين سبق أن تزوجا بها وماتا عنها، ولها من العمر لما تزوج بها رسول الله ﷺ أربعون سنة وهو ابن خمس وعشرين سنة، فهى أكبر منه سنًا بخمس عشرة سنة. وعاشت معه خمسًا وعشرين سنة منها خمس عشرة سنة قبل البعثة، وعشرًا بعدها، وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات، فقضى رسول الله ﷺ معها زهرة شبابه من غير أن يتزوج عليها. ولا أحب أحدًا مثل حبه لها، ورزق منها كل أولاده القاسم والطيب والطاهر وعبد الله ورقية وأم كلثوم وفاطمة وزينب، إلا إبراهيم فإنه من جاريته مارية القبطية التى أهداها له ﷺ المقوقس عظيم القبط فى مصر. وكانت خديجة رضى الله تعالى عنها أعقل العقائل وفضلى الفواضل، وكانت تنعت فى زمن الجاهلية بالطاهرة، وكانت تسلى النبى ﷺ وتهون عليه ما يلاقيه ويقاسيه من قومه فى نشر دعوته لدين الإسلام، وتبليغ رسالته إلى قومه وغيرهم، وكانت تعده بنجاح سعيه واستجابة دعوته، فكان

يرتاح لقولها، ويخف عنده ما كان يثقل عليه من أذى قومه وشدتهم. إلى أن توفاها الله تعالى قبل الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بثلاث سنين، فاشتد عليه موتها وحزن عليها كثيرًا، ولكن حفظ لها أجمل الذكرى بعد موتها فكان يذكرها بالخير كثيرًا ويكرم من كانت تعرفها لأجلها، ويتصدق عن روحها ويصل بالبر معارفها وكان إذا أتى بهدية قال "اذهبوا بها إلى فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة" ودخلت عليه امرأة عجوز وهو فى بيت عائشة فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وهش لها وأحسن السؤال عنها، فلما انصرفت سألته عائشة عنها فقال "إنها كانت تأتيها أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان" وما ذكرت خديجة إلا ذكرها أطيب الذكر حتى كانت عائشة تقول: ما غرت من امرأة كما غرت من خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وما رأيتها قط. (فقد تزوج النبى ﷺ بعائشة بعد وفاة خديجة بثلاث سنوات ولها من العمر وقتما تزوج بها تسع سنوات) وربما ذبح الشاة ثم قطعها أعضاء ثم بعثها فى صدائق خديجة، وربما قلت له لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول "إنها كانت وكانت، وكان لى منها ولد، وإنى لأحب حبيبها" وأغضبته (عائشة) يومًا فقلت: خديجة خديجة؟ فقال إنى رزقت حبها، وقالت له وهل كانت إلا عجوزًا أبدلك الله خيرًا منها - تعنى نفسها - وكانت تدل بحداثة سنها وجمالها وكونه ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها، وبكونها بنت صديقة الأكبر. قالت عائشة: فغضب وقال "لا والله ما أبدلنى الله خيرًا منها، آمنت بى إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، وزقنى الله منها الولد دون غيرها دون غيرها من النساء" قالت عائشة فقلت فى نفسى لا أذكرها بعدها بسيئة - رواه ابن عبد البر والدولابى - رضى الله تعالى عنها وعن عائشة وجميع أزواج نبينا

الطاهرات أمهات المؤمنين، والغيرة فى النساء أمر طبيعى حتى أنهن ليغرن من الأموات أيضًا. قال الكمال أحسن الله تعالى إليه: وفى الرجالمن يقتدى برسول الله ﷺ فى ذكر زوجته المتوفاة بالخير والترحم عليها والدعاء لها بالعفو والمغفرة، وبالتصدق عن روحها بما يتيسر له عملا ﷺ "إن حسن العهد من الإيمان" - رواه الحاكم عن عائشة - وإنى منهم ولله الحمد ونعم هذا الاقتداء لأهل المروءة والوفاء. قال الله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا) فإنى لا أنسى زوجتى قدسية وحميدة من دعوات صالحات لهما وصدقات عنهما.

٥ - عائشة الصديقة

بنت سيدنا أبى بكر خير من طلعت عليه الشمس بعد الأنبياء والمرسلين، رفيق رسول الله ﷺ فى الغار، ومعينة فى الأسفار، ووزيره فى عهده، وخليفته بحق من بعده. وزوجة الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ وأحب أزواجه إليه بعد خديجة، وأكثرهن عليه إدلالا. تزوج بها وهى بنت تسع سنوات وهو ﷺ ابن أربع وخمسين سنة، وأقام معها تسع سنوات، ومات عنها وهو ابن ثلاث وستين سنة، وهى بنت ثمانى عشرة سنة. وعاشت بعده خمسين سنة وتوفيت ولها من العمر ثمان وستون سنة، ولم يرزق منها ولا من غيرها من أزواجه الإحدى عشرة زوجة ولدًا إلا من خديجة. وقد كانت جميلة الصورة، حسنة الخلق، حلوة المنطق، فصيحة اللسان، جيدة القريحة، رزينة الرأى، رصينة العقل. وعت من أحاديث النبى ﷺ ما لم تعه امرأة من نسائه، وروت عنه ما لم يرو مثله أحد من الصحابة إلا أبا هريرة وعبد الله بن عمر. وكانت أفقه الناس وأعلمهم حتى بالطب والشعر. قال أبو بردة عن أبيه أبى موسى الأشعرى: ما أشكل علينا أمر

فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علما فيه: وقال ابن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبى ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل وأكثر. وقال أبو الضحى عن مسروق: كان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض ا هـ. وكانت كاملة الفضل تامة الأدب، حازمة ثابتة شجاعة مقدمة، حضرت وقعة الجمل بنفسها فكانت تحض الرجال على الحرب وتشجعهم، وكان الناس يسألونها عما يحتاجون إليه فتفتيهم وهى من وراء حجاب. مع أنها إحدى أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ اللاتى حرم الله على الناس من بعده أن يتزوجوا بهن أبدًا. فأين نساء زماننا منها فى بعض. اشتملت عليه من الأوصاف التى ذكرناها؟ وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها حديث "فضل عائشة على النساء كفضل الثربد على سائر الطعام" ووجه التشبيه أن الثربد جامع بين العذراء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة فى المضغ، وسرعة المرور فى المرىء، فضرب به مثلا لفضلها. توفيت سنة ٥٨ فى أيام خلافة معاوية قالت رضى الله تعالى عنها: كنت إذا هويت شيئًا تابعنى عليه رسول الله ﷺ وكنت إذا شربت من الإناء أخذه فوضع فمه على موضع فمى وشرب، كان يتكىء فى حجرى ويقر القرآن، وكان إذا غضب عرك بأنفى وقال "يا عويش قولى اللهم رب محمد اغفر ذنبى واذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن، قال علماء الحديث ومع ذلك لم يكن رسول الله ﷺ يفضلها على أقل أزواجه مزايا فى الخلق والخلق، والذكاء والنسب بشىء من النفقة أو المبيت أو حسن العشرة. بل كان يقسم بينهن بالسوية رعاية للعدل، ومن أولى من رسول الله ﷺ بالعدل فى المعاملة.

٦ - فاطمة الزهراء

بنت رسول الله ﷺ وأحب بناته إليه وأكرمهن وأعزهن عليه، وزوجة سيدنا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، وأم السيدين الكريمين سيدنا أبى محمد الحسن وسيدنا أبى عبد الله الحسين، وغيرهما من النسل الطاهر الشريف. كانت رضى الله تعالى عنها لينة العريكة، دمثة الأخلاق، حسنة الإدارة لبيتها، مطيعة لزوجها، غير مترفعة عليه، برة بأولادها، محسنة لهم ذات ورغ متناه وكمال زائد، وعقل باهر، كيف لا وهى بضعة - أى قطعة - من رسول الله ﷺ وأمها خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها. وهى أفضل نساء العالمين لا يعدلها فى الفضل أحد منهن، وإحدى الكاملات اللاتى ورد الحديث الشريف بذكرهن وهو "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد" وقد تقدم ذكر هذا الحديث عند ذكر هؤلاء. ولدت قبل الهجرة بثمانى عشرة سنة، وتوفيت بعدها بإحدى عشر سنة بعد والدها النبى الأعظم ﷺ بستة أشهر كما أخبرها بهذا وهو فى حالة الاحتضار بأنها أول أهله لحوقًا به، ولها من العمر تسع وعشرون سنة. ولها من النسل الطاهر الحسن والحسين وزينب وغيرهم، وكلهم من سيدنا على رضى الله تعالى عنه ولم يتزوج عليها فى حياتها أصلا وأما بعد وفاتها فتزوج بكثير.

٧ - السيدة زينب

أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وأبوها على بن ابى طالب، وأخواها الحسن والحسين، وزوجها ابن عمها عبدالله بن جعفر الطيار بن أبى طالب، وأولادها منه عون وعباس ومحمد وأم كلثوم رضى الله تعالى عنهم أجمعين، كانت السيدة زينب على جانب عظيم من المهابة والوقار، والحرمة

والاعتبار، تقية نقية ذات كرامات كثيرة شهيرة، وأعمال خيرية مأثورة، ولها المواقف العظيمة المعلومة والخطب البليغة المؤثرة يوم قتل أخوها السيد الحسين بألطف من كربلاء فى بلاد العراق. توفيت سنة خمس وستين من الهجرة. والمرجح عند جمهور كبار المؤرخين أنها مدفونة فى البقيع فى المدينة المنورة حيث امها فاطمة وأخوها الحسن ورأس أخيها الحسين مدفونون ثمة، وأما مقام السيدة زينب المشهور اليوم بالقاهرة فى مصر الذى يزار ويتبرك به ويدعى عنده فتحصل الإجابة لمن زاره ودعا عنده فهو مقام السيدة زينب بنت الإمام عبد الله المحصن بن الإمام الحسن المثنى بن الإمام الحسن البسيط. أخى السيدة المشار إليها، واتحاد الاسمين أوجب الظن بأنه مقام السيدة زينب بنت الإمام على والكل من أهل البيت[1].

٨ - السيدة سكينة

بنت سيدنا الإمام الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم، تزوج بها مصعب بن الزبير فقتل، فتزوج بها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم فمات عنها، فتزوج بها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول بها، فتزوجها زيد بن عمر بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل لحزازات بين الأمويين وآل بيت النبى ﷺ.

كانت سيدة نساء عصرها وأجملهن وأظرفهن وأحسنهن خلقًا وخلقًا، وأعلاهن مقامًا، وأوفرهن ذكاء. وعقلاء وأدبًا وعفة. وكانت تجالس الأجلة

---

(١) من أراد زيادة الاطلاع وتحقيق هذا المبحث فليراجع كتاب السيدة زينب الذى قام بطبعه الأستاذ حسن محمد قاسم أخيرًا بمطبعتها. فقد أثبت فيه مؤلفه أن السيدة زينب بنت على بن أبى طالب هى المدفونة بمصر بالمقام الزينى الشهير. اهـ مصححه.

من قريش، وتجمع إليها الشعراء وتبحث فى شعرهم وتنتقد ما تراه محلا للنقد لما كانت عليه من الحذق، ولها فى هذا الباب نوادر وحكايات مستظرفة جدًا، وكانت تزين المجالس بعلمها وأدبها، وبالأسئلة التى تطرحها على الشعراء والأدباء، وكان الناس يفدون عليها لمحاضرها توفيت سنة ١١٧.

تنبيه لتمويه

قامت امرأة شابة جميلة تتخذ التمثيل - أى الوقائع التاريخية السالفة فى المسارح العامة للدهماء - أى جماعة الناس - حرفة لها تحت ستار نشر الفضيلة والدعوة للأخلاق الجميلة، وهى على أظهر ما يكون من التبرج والتزين والاكتساء الذى هو أشبه بالعرى، مع التكسر فى الأوضاع والتثنى فى الأعطاف، والتمايل فى الأطراف، مما القصد به جلب الناس إلى حبها وفتنهم بها. قامت هذه المخلوقة برحلة تجوب عباب البحار، وتقطع بباب القفار إلى شاسع الأقطار، ومعها من هم على شاكلتها من نساء ورجال، فاعترض على عملها هذا الذى رآه منها ومن زمرتها شائبًا فى السلام معترض بحجة أنها مسلمة وأن الإسلام لا يبيح لها السفر بلا زوج أو محرم فضلا عن هذا التهتك التى هى متلبسة به، وكأن قد علمت أو علمت من قبل فقالت ترد عليه: إن السيدة سكينة كانت تجالس الرجال وتحادثهم وتحاضرهم وهى ما خرجت عن كونها مثلها فى عملها، فلم نسمع من اعترض على السيدة سكينة، واحتدت وتغيرت أو ضاعها لهذا الاعتراض الذى دهمها. فتدخل الدهماء من الحاضرين للانتصار لها من ذلك الرجل المعترض والعوام كالأنعام بل هم أضل حرصًا على أن لا يفوتهم شىء من رؤية حركاتها وسكناتها المهذبة للأخلاق والمنمية لروح الفضيلة فى تلك الأجسام التى صرفت وقتها ونقدها للحصول عليه وغلبت صولة الباطل على قول الحق وعاد المسرح إلى

عمله بما فيه. ونحن نقول: إن بين السيدة سكينة الشريفة العفيفة النقية وبين هذه الممثلة المترجلة الخ بونا شاسعًا كما بين السماء والأرض، فتلك كانت تجالس الأجلة من رجال قريش متسترة متحجبة كما تأمر به شريعة جدها الرسول الأعظم ﷺ وتحاضرهم وتذاكرهم بمسائل الدين من حديث وفقه وتفسير وأدب وشعر في وقت دون وقت، لا إنها تتخذ التمصيل أي حكاية الوقائع الماضية حرفة لها أمام أخلاط الناس تبتز بها أموالهم وتسترق بها أجسامهم وتفتنهم بما تبديه من خلاعة ورقاعة مما يعبر عنه بجودة الصناعة، فبينها وبينها كما بين الظلمات والنور، والظل والحرور، ومن هم على ظهر الأرض وفي بطون القبور.

٩ - السيدة فاطمة النبوية

هي أخت السيدة سكينة السالفة الذكر وزجها ابن عمها الحسن المثنى بن الحسين السبط ابن الإمام علي وابنها الإمام عبد الله المحصن دفين مصر القاهرة بالمسجد المعروف باسم مسجد الشيخ عبد رضى الله تعالى عنهم. كانت كريمة الأخلاق طاهرة الأعراف، تكافئ على الجميل القليل بالكثير الجزيل. ومن كلامها: والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئًا، ولا أدركوا من لذاتهم شيئًا، إلا قد ناله أهل المروءات فاستتروا (بصبغة الأمر) بجميل ستر الله تعالى. توفيت سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنهم.

١٠ - السيدة نفيسة

هي بنت سيدنا الحسن بن زيد بن علي زين العابدين بن سيدنا الحسين السبط ابن سيدنا علي وزوجة السيد اسحق بن سيدنا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن سيدنا الحسين السبط رضي الله تعالى عنهم أجمعين. كانت صالحة زاهدة تقية نقية صلاحًا وزهدًا وتقى ونقاء لا مزيد

عليه، تقوم الليل وتصوم النهار وتكثر البكاء من خشية الله حتى قيل لها ترفقى بنفسك لكثرة ما رأوا منها. فقالت: كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبة لا يقطعها إلا الفائزون. حجت ثلاثين حجة وكانت تحفظ القرآن وتفسيره ولا تأكل إلا أكلة واحدة فى كل ثلاث ليال، سمع الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه الحديث الشريف عليها من وراء حجاب وطلب منها أن تدعو له ومات قبلها بأربع سنوات، فأدخلت جنازته عليها فصلت عليها فى دارها. وكانت ذات مال فكانت تحسن للإمام الشافعى، وكان يصلى بها فى رمضان. ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت فى المدينة المنورة على العبادة والزهد، وتوفيت فى شهر رمضان سنة ثمان ومائتين ودفنت بمنزلها المعروف بخط درب السباع فى مصر ولها من العمر ثلاث وستون سنة. وقد حفرت قبرها فيه وقرأت فيه مائة وسبعين ختمة، وتوفيت وهى صائمة فألزموها الفطر فقالت: واعجباه أنا من منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة أفطر الآن؟! هذا لا يكون. وخرجت من الدنيا وقد انتهت فى قراءتها إلى قوله تعالى قل لمن ما فى السموات والأرض قل الله كتب على نفسه الرحمة).

١١ - السيدة عائشة النبوية

هى بنت جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسن السبط ابن الإمام على وأخت الإمام موسى الكاظم رضى الله تعالى عنهم أجمعين. كانت من العابدات الزاهدات المجاهدات للنفس فى سبيل الله تعالى، ماتت سنة خمس وأربعين ومائة ودفنت فى المسجد المعروف باسمها فى مصر على طريق الذاهب إلى قرافة الإمام الشافعى، وأهل مصر يعتقدون بها وبجميع من هو مدفون بمصر من آل البيت، ويتبركون بزيارة قبرها

وقبورهم رحمهم الله تعالى رحمة واسعة، ونفحنا بنفحاتهم، وأعاد علينا من بركاتهم.

١٢ - الخنساء

هى تماضر بنت عمرو بن الشريد الصحابية الجليلة، والخنساء صفة لها ومعناه المتأخر أنفها عن وجهها مع ارتفاع قليل فى الأرنبة، والمذكر أخنس. حضرت الحرب ومعها أولادها الأربعة فكانت تشجعهم على الإقدام والجهاد فى العدو ابتغاء وجه الله تعالى حتى قتلوا، فلما بلغها قتلهم حمدت الله تعالى على أن رزقهم الشهادة وسألته أن يجزيهم خيراً فى الآخرة، فكانت المثل الأعلى للصابرين والصابرات حيث لم تجزع على مصابها بهم. وأجمع علماء البلاغة على أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها، لا سيما ما ورثت به أخاها من أبيها صخراً. ومن أخبارها أنه خطبها دريد بن الصمة من أبيها وكان طاعنًا فى السن، فقال له أبوها إنك الكريم الذى لا يطعن فى حسبه، ولكن لهذه المرأة فى نفسها ما ليس لغيرها، وإنما أذكرك لها. ثم دخل عليها وقال يا خنساء. أتاك فارس هوازن وسيد بنى جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو ما تعلمين؟ فقالت: يا أبت أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح وناكحة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد؟! وأبت أن تتزوج به لكبر سنه ودنوه من الموت. وفى هذه الحكاية ما يدل على أن النساء يكرهن الكبير فى السن ولو كان عظيمًا كما قال الشاعر:

من كان أدم جملا فى سنه كرهته حواء السنين من الدمى

توفيت الخنساء سنة أربع وعشرين من سنى الهجرة رحمها الله ورضى عنها

١٣ - بكارة الهلالية

من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والإقدام والفصاحة، والشعر والنثر والخطابة، حضرت مع سيدنا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه حرب صفين، ولها مقالات حماسية جعلت كل من سمعها يقدم فى الحرب بدون مبالاة. وكانت مثال المرأة الصادقة لم تدنس نفسها بكذب، ولذلك أثر قولها فى الرجال فتبادروا موارد المهالك فى تلك الحرب، وهكذا ينبغى للمرأة أن تتجنب الكذب فإن الكذب فى حد ذاته قبيح وهو فى النساء أقبح، لأن المرأة متى كذبت خانت ففسقت ولا خير فيها حينئذ. قال عامر بن الظرب العدوانى حكيم العرب - وكان من المعمرين فقد عاش مائتى سنة - إنى وجدت صدق الحديث طرفًا من الغيب، فاصدقوا تصدقوا. يعنى أن من لزوم الصدق فى أقواله أصاب بظنه، فلا يقول عن شىء فى المستقبل أنه سيكون كذا إلا جاء على وفق ما قال.

توفيت بكارة الهلالية

١٤ - الحرقة بنت النعمان بن المنذر

كانت من أفصح نساء زمانها مقالا، وأوفروهن جمالا، وأكملهن عقلا، وأعظمهن أدبًا، غير أن الدهر قلب لها ظهر المجن فتغيرت حالتها: وذهبت نعمتها، فلم يغير شيئًا من كرم أخلاقها، حسن طباعها، ورباطة جأشها. بل صبرت على ما أصابها حتى توفيت أيام سعد بن أبى وقاص المتوفى سنة خمس وخمسين، ومن كلامها: إن للدهر عثرات تعثر بالملوك وأبنائهم. فتخفضهم بعد رفعه، وتفردهم بعد منعة، وتذلهم بعد عزة، وكذلك الدهر ليس يأتى قومًا بمسرة إلا أعقبهم حسرة.

١٥ - رابعة العدوية

هى رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية. مولاة آل عتيك، اشتهرت بالنسك والعبادة وتقديسه وتمجيده، ورضيت من الحياة بالكفاف من العيش، والصوف والشعر من اللباس، وكان يغشى عليها إذا سمعت ذكر الله تعالى من هيبته فى قلبها جل جلاله. وبلغت الثمانين من عمرها وهى لا تزداد إلا عبادة وتقوى، وكان كفنها معها أينما توجهت، وكانت تقوم الليل كله بالصلاة فإذا طلع الفجر هجعت هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فتقوم من نومها فزعة وتقول يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تنامين؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا بصرخة يوم البعث والنشور. وكانت تقول إلهاى ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا طمعًا فى جنتك، بل حبالك وقصد لقاء وجهك. توفيت سنة خمس وثمانين ومائة، وأخبرت عنها أليفتها فى حياتها، ورفيقتها فى عبادتها، عبدة بنت أبى شوال أنها رأتها فى منامها بعد موتها فى نعيم عظيم، فقالت لها مرينى بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل فأنال مثل ما نلت؟ فقالت لها عليك بكثرة ذكر الله تعالى، فإنه يوشك ان تغتبطى بذلك فى قبرك رحمها الله ورضى عنها.

١٦ - شيرين

هى من ولد خسرو (كسرى) نو شيروان، وزوجة أبرويزين بن هرمز، تزوج بها ففوض إليها أمره، واستوثق منها بأن لا تمكن منها أحدًا بعده، وكانت من أجمل النساء وأظرفهن، ومثالا أعلى فى الوفاء لزوجها المذكور. وذلك أن شيرويه ولد زوجها من غيرها لما قتل أباه أبرويز المذكور واستولى على ملكه بعث إلى شيرين يدعوها لنفسه، فامتنعت عليه وأبت أن تجيبه لما طلبه، فغضب عليها وغصب منها ضياعها وعقارها وذخائرها وكل أموالها،

وقذفها بالفاحشة وماها بكل معضلة، فلما بلغها هان عليها ما أخذه من الأموال دون ما رماها به من الإفك والافتراء عليها، فبعثت إليه تقول أيها الرجل إن لم يكن بد مما سألت فاقض لى ثلاث حاجات، رد على ضياعى وأموالى، واصعد على منبرك بمحضر من مرازبتك وأساورتك وعظماء أهل مملكتك وتبرأ مما قذفتنى به، وأمر بفتح الناوس الذى فيه أبوك فإن عندى وديعة له أريد أن أردها إليه فأجابها لما طلبته. فلما فتح لها باب الناووس وكان معها خاتم فيه سم ساعته فوضعته فى فيها وعانقت زوجها ومات بالحال، فسمحت بنفسها وفاء لزوجها بما وعدته به من أنها لا تنتقل إلى أحد بعده. وهى ليست مؤمنة حتى أنه لا سبة عليها ولا عار لو قبلت ابن زوجها أن يحل محل أبيه منها فى دينها، ولكن الثبات على صدق الوفاء من أفضل ما تتحلى به النساء، وأين منها الست لطيفة بنت فريد باشا اليافى فقد استفاضت الأخبار عنها بواسطة الجرائد أنها أحبت ابن أخى زوجها فاتفقت معه على سم عمه ليحل منها محله؟! وهو من وجوه الشام وسرتها المعروفين ومن الشبان الذين لم يتجاوزوا الأربعين من عمرهم ولها منه عدة أولاد، ولكن غلبت عليها شهوتها - بل شقوتها - فسمت زوجها بتدبير ابن أخيه فذهب شهيداً لرحمة الله تعالى وأبت عدالة الله أن يذهب دمه هدراً فظهرت حقيقة المسألة وحكم على الزوجة المذكور وعلى معشوقها ابن أخيه بالإعدام جزاء ما عملاه، إلا أن الحاكم الأكبر الفرنسوى فى الشام بدل حكم الإعدام بالسجن المؤبد وقدره عشرون عاماً فهما اليوم محبوسان حتى تنقضى المدة التى استبدلت بالإعدام، وليس هذا الحبس حتى ولا إعدام بالحكم الذى يبرؤهما يوم القيامة لأن الحدود فى الدنيا زواجر لا جوابر، فمن فعل فى الدنيا ما يستوجب عليه العقاب فعوقب عليه فعقابه إنما هو زاجر لغيره عن فعل ما

فعله لا جابر لتلك الفعلة التى فعلها، بل لابد أن يعاقبه الله تعالى عليها فى الآخرة، أو يعفو عنه إذا شاء، وستصبح خيانة لطيفة لزوجها مثلا سائرًا كما أصبح وفاء شيرين لزوجها مثلا سائرًا، كل امرئ بما كسب رهين، والناوس صندوق من حج واحد يضع فيه الكفار فى القديم ملوكهم بعد الموت، ومنه نواويس فراعنة مصر وقياصرة الروم وغيرهم.

١٧ - فاطمة بنت عبد الملك بن مروان

كانت فصيحة أديبة ذات دين وورع لم يسبق إليه أحد من نساء بنى أمية، تزوجت بعمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة فغمرها بأمواله؛ وأرضاها بنواله، وعاشت معه فى رفاهية ونعيم، فلما آلت إليه الخلافة وكان على منهج الخلفاء الراشدين قال لها إن أردت صحبتى - أى بقاء الزوجية بينى وبينك - فردى ما معك من مال وحلى وجواهر إلى بيت مال المسلمين فإنه لهم، فردته جميعه وبقيت معه فى عيشة التقشف والزهد إلى أن مات بعد سنتين من خلافته سنة واحدة ومائة فانتقلت الخلافة إلى أخيها يزيد بن عبد الملك فقال لها: إن عمر ظلمك فى مالك وإنى رددته إليك فخذيه، فقالت كلا والله لا آخذه فما كنت لأطيعه حيًا وأعصيه ميتًا، وبقيت فى حالة زهد وعبادة وورع حتى لحقت بزوجها رحمها الله ورضى عنه.

١٨ - الخيزران

أم هارون الرشيد وزوجة أبيه محمد المهدى، أجمع المؤرخون على أن جميع الأعمال الطيبة والأفعال الحسنة التى قام بها المهدى فأكسبته الشهرة الفائقة إنما كانت بتأثير زوجته الخيزران هذه، وكانت ذات جمال وبهاء وكمال وأدب ولطف، وحلت من زوجها فى مكانة عظيمة، وتقدمت فيخلافته تقدمًا زائدًا امتد إلى زمن خلافة ولدها موسى الهادى فشاركته فى إدارة أمور

المملكة، وكان كثير الطاعة لها مجيبًا لما تطلبه منه من قضاء حاجات الناس ثم انقلب عليها بعد ذلك لما رأى من كثرة المتوسلين بها وتردد الناس عليها لقضاء حاجاتهم فمنعها من التدخل فى أمور الملك وأراد قتلها وهى أمه فبعث إليها بطبيخ أرز مسموم وقال لها قد استطبته فكلى منه، فقيل لها امسكى حتى تنظرى وجىء بكلب فأطعم منه فصقط لحمه ومات لوقته، فأرسل إليها ابنها كيف رأيت الأرز؟ فبعثت تقول له إنه طيب، ما أكلت منه ولو أكلت لاسترحت منك، ومتى أفلح خليفة له أم؟! ويقول المؤرخون إنها اقتصت منه وجرته على عمله بمثله وذلك أنها أمرت جواريها فقتلته، وقيل إن سبب قتلها له أنه أراد أن يخلع أخاه هارون الرشيد من ولاية العهد ويجعلها فى ابنه جعفر، فخافت الخيزران على ابنها الرشيد أن تذهب الخلافة منه فأمرت جواريها بقتل ولدها موسى الهادى، وصادف أنه كان مريضًا فقتله بالغم والجلوس على وجهه، فلما ولى الخلافة أعاد لها ما كانت عليه من العز والنفوذ إلا أنها كفت من نفسها من التدخل فى الأحكام حتى توفيت فى خلافته، فأخرجها باحتفال عظيم لم ينله غيرها من نساء الخلفاء سنة ثلاث وثمانين ومائة.

١٩ - السيدة زبيدة

أبوها جعفر وعمها المهدى وجدها المنصور وزوجها هارون الرشيد وابنها محمد الأمين وكلهم خلفاء، فأحاطت بالخلافة من كل جانب. تزوج بها هارون الرشيد سنة خمس وستين ومائة وكان يحبها ويكرمها كثيرًا، وكانت هى أيضًا شديدة البر به والاحتفاظ بكرامته حريصة على مرضاته، وكانت ذات خير معروف وفضل وكرم وتقوى وصدقات متواصلة ومال كثير أنفقت منه فى سبيل الله وفى الحج وفى بناء المساجد والملاجئ للغرباء. والمطاعم للفقراء مليونًا وسبعمائة دينار، ولها خيرات كثيرة غير ذلك فأنها سقت أهل

مكة الماء بعد أن كن الراوية عندهم بدينار لندرة وجودة - الراوية وعاء صغير من الجلد دون القربة يوضع فيه الماء - وأجرت المياه تحت الجبال والصخور حتى أوصلته إلى مكة المكرمة، ولم تزل هذه المياه موجودة إلى الآن باسم عين زبيدة يستقى منه جميع أهل مكة ومجاريها وعليها مدار شربهم وزيهم، وهو ماء كثير يكفى كل من فيها ومن يرد عليه لولا أن بعض أصحاب النفوذ كانوا يغصبون مقداراً كبيراً منه ويسوقونه إلى أراض لهم ليجعلوا منها بساتين وجنائن، فهم يضيقون على عباد الله ما به قوام حياتهم وكثير منهم يتعمد ذلك التضيق فى أيام الحج ليباع الماء بأكثر من ثمنه المعتاد لا يسامحهم الله، وكان للسيدة زبيدة رحمها الله تعالى مائة جارية يحفظن القرآن عن ظهر قلب "استظهاراً" ولكل واحدة منهن ورد منه تقرأه فكان يسمع فى قصرها كدوى النحل من قراءة القرآن، وكان للعلماء والأدباء اجتمعات تعقد فى مجالسها لنشر العلم وتقدير قدر أهل الفضل، وما زالت على هذه الحالة الحسنة حتى مات زوجها الرشيد واستخلف ولدها الأمين، وجرى بينه وبين أخيه لأبيه المأمون ما جرى مما أدى إلى قتل ولدها الأمين فساء حالها، ولكن المأمون عطف عليها وجمل حالها وأحسن إليها بعد ما استتب له الأمر واعتذروا لها عن تقصيره لما كان مشغولا فيه، وقال لها: ما جفوتك تعمداً ولكن شغلت عنك. فقالت له يا أمير المؤمنين إذا حسن رأيك لم يوحشنى شغلك، فكان يوجه إليها فى كل سنة مائة ألف دينار ومليون درهم حتى توفيت قبله بسنتين سنة ست عشرة ومائتين رحمها الله تعالى.

٢٠ - علية بنت محمد المهدى

أخت هارون الرشيد، كانت أحسن نساء زمانها وجهًا، وأظرفهن خلقًا، وأوفرهن عقلا ذات عفة وصيانة وأدب بارع، وفضل رائع، وآثارها الأدبية فى

كتب الأدب من منظوم ومنثور كثيرة تشهد لها بفضلها، وكان أخوها هارون الرشيد يجلها ويبالغ فى إكرامها، وكانت إذا طهرت لازمت العبادة فإذا لم تكن طاهرة لحيض أو نفاس غنت لنفسها فى قصرها، ومع الغناء والشعر الغزلى الذى كانت تقوله كانت من العفاف الحصائف، عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين بعد أخيها هارون الرشيد بسبع عشرة سنة فى خلافة المأمون ابن أخيها رحمها الله تعالى.

٢١ - بوران

هى بنت الحسن بن سهل وزير الخليفة عبد الله ابن هارون الرشيد وزوجته، تزوج بها فى رمضان سنة عشر ومائتين. كانت أحسن نساء زمانها وأجملهن وأكرمهن وأفضلهن أدبًا وأوفرهن عقلا. رباها أبوها أحسن تربية، وخالطت نساء الخليفة هارون الرشيد فاكتسبت من أدبهن ما أهلها لأن تكون واحدة منهن، وقد أنفق والدها يوم زفافها للمأمون ما لم ينفقه أحد، فقد كتب رقاعًا بأسماء عقارات وضياع وقرى ونثرها على الحاضرين فكل من وقعت بيده رقعة تملك ما فيها، ولما أدخلت على المأمون عراها من هيبة الملك ما غير عادة حيضها فحاضت بالحال، فلما أراد المأمون أن يدنو منها قالت له: أتى أمر الله فلا تستعجلوه، فكيف عنها وأعجب بحسن جوابها، وكانت لها عنده الحظوة التامة حتى توفى عنها سنة ثمانى عشرة ومائتين بعد ما أقامت معه ثمانى سنوات، وعاشت بعده ثلاثًا وخمسين سنة، وتوفيت سنة إحدى وسبعين ومائتين ولها من العمر ثمانون سنة ولقد حسدها نساء أهل زمانها على اتصالها بالخليفة حتى ظهر حسدهن على لسان بعض الشعراء حيث قال:

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن
يا إمام الهدى ظفرت ولكن بينت من!

وفى البيت الأخير إيهام الاستخفاف والإعجاب وهو من أنواع البذيع.
ومثله قول الشاعر فى خياط أعور خاط له قباء:

خـــاط فى زيد قـــبـــاء ليت عـــينيـــه ســـواء
قل لمـن يســـمع قـــولى إذا مـــديح أم هـجـــاء؟

٢٢ - قطر الندى

هى بنت خمـارويه ملك مصر المتوفى سنة ٢٨٢ ابن أحـمد بن طولون وزوجة الخليفـة المعتضد بالله العباسى، أنشـأت فى قصرها حلقة تجتمـع فيها الأديبات الفـاضلات والنسـاء التابغـات، فيبـحثن فى الموضـوعات العلمـية ويتطارحن الأسئلة المفيدة، ولما مات زوجهـا وأفضت الخلافة إلى ولده المقتدر بالله وكـان حديث السن تدخلت هى فى الأحكام وقـبضت على زمـام الحل والعقـد فكانت تقـابل الوزراء والسفـراء وأرباب المناصب، وتجلس للنظر فى المظالم وطلبات الناس كل جمعة وتوقع عليها بما تقتضيه الحالة.

٢٣ - ولادة

هى بنت المستكفى بالله محـمد بن عبد الرحمن بن عـبد الله بن الناصر لدين الله الأموى، واحدة زمـانها المشار إليها بالبنان، حـسنة المحاورة، دائمة المذاكرة، ذات صـيانة وعفاف، أديـبة شاعرة جـزلة القول حسنة الشـعر ومنه قولها:

ألحـــاظكم تجـــرحنا بـالحـشـــا ولحظـنا يجـــرحكم فى الخـــدود
جـرح بجـرح فـاجـعـلوا ذا بذا فـمـا الذى أوجب هذا الـصـدود

وكانت تناضل الشعراء، وتجادل الأدباء، فـتفوق البارعون منهم. وكان مجلسهـا بقرطبة فى بلاد الأندلس (بأسبـانيا) منتدى لاجتـماع الأدباء ووفود

الشعراء لحلاوة عشرتها، وكرم نسبتها، وزيادة طهارتها، وعفتها وصيانتها، وحسن سلوكها. فلا تقسها بنساء هذا الوقت المتبرجات المتهتكات فإن لها من كرم أصلها وشرف دينها رادعها يردعها يدنس عرضها، فهى كما قال جرير الخطفى الشاعر:

حور حرائر ما همن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الحنا الإسلام

وعمرت عمراً طويلا ولم تتزوج حتى توفيت سنة ثمانين وأربعمائة بعد ما لاقت من الزمان زعزعا ورخاء، وشدة ورخاء، رحمها الله تعالى.

٢٤ - شجرة الدر

هى زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب الكردى الحاكم فى مصر المتوفى سنة ٦٤٧ كانت امرأة عاقلة مهذبة خبيرة بالأمور، ذات حزم ومعرفة تامة بأحوال المملكة، فكانت تدبر الأمور فى حياة زوجها، وكان يرجع إليها ويستشيرها فى الأمور المهمة، وكان الخطباء يخطبون باسمها على المنابر، فلما مات زوجها قامت هى بالأمر بعده فساست الرعية بحسن تدبيرها ووفور عقلها وخبرتها، إلا أن بعض الناقمين عليها أغرى جواريها بها وأفسدهن عليها فقتلنها وهى فى الحمام بالقباقيب حتى ماتت رحمها الله تعالى سنة ٦٥٠ هـ

٢٥ - عائشة الباعونية

هى بنت القاضى يوسف أحمد بن ناصر الدين الباعونى - نسبة إلى باعون قرية من قرى عجلون فى جبل الدروز - ولدت بدمشق ونشأت فى بيت معروف بأن كل من نسب إليه عالم أو أديب أو مؤرخ أو محدث،

وكانت ذكية بفطرتها ميالة للعلم وقرض الشعر من صغرها، حفظت القرآن الكريم عن ظهر قلب وهى بنت ثمانى سنوات، وتقلت الفقه والنحو والعروض على علماء عصرها، ثم انصرفت للنظم والتأليف. ومن آثارها النفسية قصيدتها البديعية التى سارت مسير الشمس فى شهرتها، مدحت بها النبى الأعظم ﷺ بأنواع البديع من غير تسمية النوع، ولها غيرها من مدح وغزل ونسيب وتشبيه، وقد أجلها علماء عصرها وكاتبوها ومدحوها وقابلتهم هى بالمثل، وتتلمذت فى مصر على العلامة أحمد شهاب الدين القسطلانى شارح صحيح البخارى وصاحب غيره من المؤلفات القيمة المتوفى سنة ٩٢٣، وأطنب كبار المؤرخين بمدحها ووصفها. قال الغزى فى كتابه الكواكب السائرة: هى الشيخة الأديبة العالمة العاملة الصوفية إحدى أفراد الدهر ونوادر الزمان فضلا وعلمًا، وأدبًا وشعرًا، وديانة وصيانة.

- الغزى هو إما بدر الدين المتوفى سنة ٩٨٤ هـ أو نجم الدين المتوفى سنة ١٠٦١ - وقال الشيخ عبد الغنى الدويك الشهير بالنابلسى العالم الجليل المتوفى سنة ١١٤٣: فاضلة الزمان، وحليفة الأدب فى كل مكان. وقال غيرهما ربة الفضل والأدب، وصاحبة الشرف والنسب، كان تجميلة الصورة، وافرة الهيبة، من العلم والأدب، وديوان شعرها فى المدائح النبوية جامع لاسنى الشعر وأعلاه، وقصيدتها البديعية - السالفة الذكر - سارت بذكرها الركبان، وفاقت بمعانيها على بديعية الفى الحلى (المتوفى سنة ٧٥٠) وبديعية ابن حجة الحموى (المتوفى سنة ٨٧٣ هـ) توفيت بدمشق الشام ودفنت بالصالحية ولم يزل قبرها إلى اليوم باقيًا ومكتوب عليه، هذا مقام السيدة عائشة الباعونية رضى الله عنها سنة ٩٣٠ هـ.

٢٦ - عائشة التيمورية

هى الست عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا تيمور بن محمد كاشف، وأخت العالم الفاضل المشهور المرحوم أحمد باشا تيمور المتوفى سنة ١٣٤٨ هـ كردية الأصل أديبة فاضلة، وحكيمة عاقلة، عالمة وشاعرة بارعة، فاقت على أقرانها. تعلمت وتخرجت على أساتذة فضلا بين سمع أبويها ونظرهما، وغلب عليها الميل إلى النحو والعروض فبلغت من الشعر مبلغًا لم يبلغه غيرها من النساء، وديوان شعرها المسمى بحلية الطراز شاهد على ذلك ولها شعر كثير بالتركية والفارسية وفى بدء أمرها بادرت أمها إلى تعلمها التطريز ولكن كانت أفكارها متجهة لتعلم القراءة والكتابة، فأتى لها أبوها بمن علمها القرآن والخط والفقه والصرف واللغة وأخذت تواصل قراءة كتب الأدب وتتبع دواوين الشعر حتى صارت لها ملكة التصور للمعانى فأخذت تنظم الشعر وقبل إتمام تعلمها تزوجت، فكفت عن الاشتغال بالعلم وانصرفت إلى تدبير أمور المنزل وتربية أولادها حتى مات زوجها سنة ١٢٩٢ وكان أبوها مات قبله سنة ١٢٨٩ هـ فاستقلت بنفسها ورجعت للاشتغال بالعلم والأدب حتى ماتت سنة عشرين وثلاثمائة وألف ولها من العمر أربع وستون سنة.

٢٧ - السيدة قدسية

هى السيدة قدسية رشيدة كريمة الأستاذ العالم الفاضل الشيخ محمد جمال الدين المتوفى سنة ١٣٤٤ هـ ابن الولى الكبير العلامة الشهير الشيخ محمد أبى المحاسن القاوقجى الحسنى المتوفى سنة ١٣٠٥ وأمها امرأة تركية اسمها الست حورية بنت محمد أفندى القنطارجى (الوازن) فى وزارة حربية الدولة العثمانية من أهل مدينة بروسة ولدت سنة ١٣١٦ هـ وسنة ١٨٩٨ م فى استانبول ونشأت فى بيت أبويها على التربية التركية بسبب المحيط الذى

ولدت فيه وتعلمت فى كتاتيب المحلة ثم دخلت فى المدارس الرسمية للحكومة حتى بلغت السنة الرابعة من سنى التعليم فى دار المعلمات ثم نشبت الحرب العامة سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٤ م فحالت بينها وبين إكمال تحصيلها وكان بقى لها سنة حتى تتمه وفى سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٤ م تزوجت بها فى استانبول وأقامت معى ثلاث عشرة سنة إلا أسبوعًا رزقت منها فى أثناءها أربعة أولاد ذكور وواحدة أنثى، وهم على هذا الترتيب، عبد الرحمن كمالات وتوفى فى استانبول عن أربعة أشهر وأمة الرحيم وعبد الرحيم وهما ولله الحمد حيان بارك الله تعالى بهما وعبد الحليم وعبد الله وقد ماتا فى مصر ولكل واحد منهما ستة أشهر ثم إنها ماتت رحمها الله تعالى بمرض القلب وهى حامل بولدها السادس خلق الله لثمانية أشهر من حمله ودفنت فى حوش الشيخ أحمد أبى النصر فى قرافة المماليك حيث أبوها وعمها الشيخ كمال الدين مدفونان فيه ليلة اليوم السادس عشر من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٤٨ الموافق لليوم التاسع عشر من شهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٩ م رحمها الله تعالى وعفا عنها وعوضها عن شبابها بالجنة وضاعف لها الأجر والمنة وغفر لى ما كان بيننا من تظالم وسوء تفاهم وقد كانت رحمها الله جميلة فصيحة المنطق تغلب عليها التركية على النطق بالعربية ذكية فهيمة صافية القلب من كل غل وحقد مهما أسيء إليها ترضى وتصفح بمجرد ما يعتذر لها، قنوعة راضية بعيشها غير طامعة بشيء من زخارف الحياة ميالة إلى الزهد فى الدنيا والبعد عن سفسافها لا تتبرج ولا تتهتك ولا تظهر لغير ذى رحم محرم قريب منها ولا تميل إلى الخلافة وغشيان مسارح اللهو، ما كلفتنى فى مدة إقامتها معى بأن أذهب بها إلى مشاهدة رقص أو تمثيل أو سينما أو سماع غناء وما كانت تستعمل ما تستعمله النساء من حمرة الشفاه وتبييض الخدود وتسويد الحواجب وما كانت تبدى شيئًا من بدنها يحرم إبداؤه حتى أنها كانت وهى فى بيتها

ترخى الأستاء على النوافذ زيادة فى التصون، وقل أن سمعتها تغنى مع أن صوتها رخيم حسن إلا أن تكون تغنى لتنويم ولدها، وكانت تقوم بعمل بيتها بنفسها حتى غسل الثياب لا تريد أن تستخدم خادمة، وكانت عفيفة الكلام ما سمعت منها كلمة بذيئة لا بجد ولا بهزل، وكانت تكره أن تسمع منى كلمة (شهوة) لما أسألها عما تريد أكله قائلا لها الرجل يأكل بشهوة عياله فتقول لى لا تقل بشهوة بل باشتهاء عياله، وكانت مقتصدة إلى البخل أقرب منها إلى الإسراف، وكانت مصلية صائمة قارئة للقرآن وغيره من كتب الدين غير ميالة إلى قراءة الجرائد والمجلات على اختلاف نزعاتها ومن تمسكها بدينها أنها كانت صائمة شهر رمضان وهى فى الشهر التاسع من شهور حملها بولدها عبد الرحيم وكان قد صادف شهر رمضان لشهر مايو (أيار) وهو الشهر الذى يطول فيه النهار وتأخذ فيه الحرارة بالازدياد فأبت أن تفطر فيه يومًا واحدًا، وبالجملة أنها كانت على أحسن ما يمكن أن تكون عليه النساء مع حداثة سنها، ولا عجب فإنها من ذرية قوم صالحين وصلاح الآباء مؤثر بالأبناء رحمها الله تعالى رحمة واسعة، وعفا عنى وعنها، وغفر لى ولها ما كان بيننا ما لا تخلو حالة الزوجية منه. وقد كتبت هذا عنها لتعلم أخواتنا النساء أن فى الرجال أوفياء لنسائهم يحسنون إليهن فى الحياة، ويذكروهن بالخير بعد الممات، فلا ينسوهن من دعاء بالخير لهن ومن قراءة قرآن واستغفار وصدقات عن أرواحهن ولو أنهم لم يكونوا ممنونين منهن تمامًا فى حياتهن، فإن وفاتهن تسبب العطف عليهن بالترحم عليهن والدعاء لهن عملا بقوله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) واقتداء بالنبى ﷺ فى حبه لخديجة أولى أزواجه رضى الله تعالى عنها، وذكره إياها بعد وفاتها، وامتثالا لقوله ﷺ "إن حسن العهد من الإيمان" – رواه الحاكم عن عائشة.

٢٨ - حميدة أحمد فهمى

أبوها أحمد فهمى البنهاوى معاون مدير البوليس بمصر برتبة يوزباشى جوال فى الأقاليم لتوطيد الأمن والسكينة فيها وأبوه أحمد أفندى كان من ياوران (حجاب) الخديوى اسماعيل باشا. وأمها من شبين القناطر وليس لحميدة من الحامة إلا أخت وثلاثة إخوة هى أوسطهم وخيرهم، بل هى الوحيدة من بينهم فى خلقها وخلقها وصورتها وسيرتها منذ ولدت إلى أن توفيت. ولدت سنة ١٩٠٥ ميلادية الموافقة لسنة ١٣٢٣ هـ ونشأت ذكية نجيبة نبيهة حساسة مدركة فهيمة فصيحة عاقلة وتعلمت التعليم الأولى والابتدائى ولم تستكمل كل تعليمها حيث فرط بها أبواها فعاجلاها بتزويجها وهى فى السابع عشرة من سنى حياتها برجل له من البنات من هى بسنها أو أكبر منها، من غير أن يتروياً أو يتأنيا فى ذلك التزويج فتقول رحمها الله إنه أساء عشرتها ولم يحسن معاملتها حتى اضطرت لأن تطلق منه بعد ما أقامت معه أربعة أشهر على أشد ما يكون، ثم انفصلت عنه وهى حاملة منه وبقيت أيما - عزباء - حتى وضعت حملها فكان ولداً ذكراً سمته محمد وقامت على تربيته حتى بلغ سبع سنوات، فأخذه أبوه منها فوجدت عليه وجداً كثيراً، وفى أثناء ما هى أيم جاءها طلاب كثير فلم ترتض أحداً منهم، ولما ذهب ولدها من يدها وضاق صدرها من بقائها بين أبيها وإخوتها حصلت القسمة بتزوج مؤلف هذا الكتاب بها وهى بنت خمس وعشرين سنة فوجدها نجيبة أديبة عاقلة واعية مدركة ذكية نبيهة، مديرة لأمور بيتها باقتصاد بلا سرف ولا تقتير، مجيدة للقراءة والكتابة، حسنة الفكر والتصور، تفهم من الإشارة ما لا يفهمه غيرها بصريح العبارة، كبيرة النفس، عالية الهمة، حسنة اللقاء لكل من جاءت تزورها، تقوم بكل ما يلزم من أعمال المنزل بنفسها من دون

استغاثة بغيرها حتى فى أمورها الخصوصية من تفصيل وخياطة، ذات كلام موزون وتعبير فصيح، وتحفظ كثيراً من الأمثال والأشعار وصوتها رخيم رقيق إذا غنت، خبيرة بأحوال الناس ولا سيما النساء، وقد ساعدتنى كثيراً فى تأليف هذا الكتاب حيث أطلعتنى على كثير من أحوال النساء وطباعهن وفنسياتهن، وكانت ملة بأحوال العالم وسياسة البلاد وما يحصل بين الأحزاب من صد ورد، تقرأ الجرائد وتطالع المجلات وكتب الأدب، ولما طبعت كتابى (التذكير بالمرجع والمصير) أكثرت من قراءته زيادة على غير من مؤلفاتى المطبوعة وكانت تحب الأنس ومشاهدة مسارح التمثيل والطرب من غير إفراط، وعزمت على أن تصلى الجمعة فى المسجد الجامع وبدأت بصلاتها فيه، ثم عاجلتها منيتها رحمها الله تعالى. ولكنها مع هذه الصفات الحسنة كانت عصبية المزاج ضيقة الصدر تغضب من أدنى شىء بل تتأثر من لا شىء، وإذا ثارت عصبيتها - وكثيراً ما تثور - اضطربت حواسها وخرجت عن طور الاعتدال فلا ترعى لحاضر حرمة ولا لغائب ذمة، وتطلق للسانها ويديها السراح، فيتمنى السامع والناظر لما تقول وتفعل أن لو كان أعمى أو أصم ولا يراها بتلك الحالة كما أنها لما تهدأ وتسكن ويرجع إليها اعتدالها تكون من أحسن خلق الله عشرة ومؤانسة ومجلساً حتى يتمنى مجالسها أن لا يفارقها، ولولا هذه الحالة العصبية التى كانت فيها لما كان لها نظير بين النساء بل كانت خيراً من كثير من الرجال لتلك الصفات الحسنة فيها، ولكن الكمال لله وحده، وسبب تلك الحالة العصبية التى اعتراها ما قاسته من الشدائد والأهوال فى زواجها الأول، وما كابدته من المشاق فى تربية ولدها، وما عراها من وفاة والدتها التى كانت برة بها مطيعة لها قائمة عليها أحسن قيام، بخلاف أختها وأخواتها مع أمهم، وبسبب أخذ زوجها الأول ولده منها ومعاملته له المعاملة القاسية الجافة مع أنه ولده الذكر الوحيد بين جملة بنات

من عدة أمـهات، وبسبب مـا عندها من علو النفس وحب أن تكون بأرفع مما هى عليه مقـامًا، وأنعم مما تلاقيه حـالا، فاجتمعت علـيها الأسباب المهـيجة لانفعالها مع ما فيها من الاستعداد بسـبب نحافة جسمها فكانت تعتريها تلك الأحوال المزعجـة منذ تزوجت بها حتى توفيت رحـمها الله تعالى وعـفا عنها وغفر لـى ولها ما كان منهـا ومنى ومتى نم تظالم وسوء تفاهم، وقـد كانت وفاتها بلا سابق إنذار بخطر، فـقد تأخرت عادة حيضها أيامًـا ثم جاءتها بقوة ودفق زائد يوم الجـمعـة ثالث أيام عيـد الفطر سنة ١٣٥٢ هـ فـاتهب غشـاء أمهائها وانسد مجرى بولها فمكثت أربع ليال باضطراب وبعد ظهر يوم الثلاثاء سابع شـوال و ٢٣ يناير الثانى سنة ١٩٣٤ م توفيت رحـمها الله تعالى وعـفا عنها:

مـاتت خـميـدة فى ربيـع حيـاتهـا ... مـغمـورة الأوقـات فى حـسراتهـا
إذا لم تنل مـا قـد تـريد وتشتـهى ... طبـقًـا لما تبـديه من حـالاتهـا
مع أنهـا كـانـت بعـيش طيب ... لا يأس فـيـه لمثلـهـا ولداتـهـا
أخنى عليـها طبـعهـا العصبى فى ... فـورانه فـى البـعض من أوقـاتهـا
فـحدا بـها وهى الظـلوم لنفسهـا ... نحـو المسيـر إلى حـيـاض مماتهـا
فـقضت ويـا أسفى عليـهـا تحبهـا ... فى بـضع أيام تـلت ليـلاتهـا
لولا تهـيـجـهـا ونار مـزاجـهـا ... مـا كان يشـبـهها امـرؤ بصـفاتهـا
إذ أنهـا فى الاعـتـدال شـريفـة ... فى نفـسـهـا وكـيلة فى ذاتهـا
ولهـا التـجـمل والـتـأنق عـادة ... إذ كان حـسن السمت من عـاداتها
ولهـا جمـال الخلق والأخـلاق مع ... صـوت بديع الحـسن فى نغمـاتهـا

وبهـــا ذكـــاء زائد ونبـــاهة ... تدعـو إلى الإعجـاب من شاراتهـا

وتـدير منـزلـهـــــا بـكل عـنايـة ... مع حـسن تدبير بفـضل حـصاتهـا

وتسـر زائـرة بحـسن لقـائهـا ... فـتـعـود مـثنيـة على زوراتهـا

وتجيـد مـا تقـرأ وتكتب مـثل من ... ينشى ويبـدع فـى انتـقـا كلمـاتهـا

وهى الوحـيدة والحـميـدة بين إخـ ... ـوتهـا فليسـوا مـثلهـا بسـمـاتهـا

مع أن والدهم جـمـيـعًـا واحـد ... والأم واحـــدة بكـل أدانهـــا

أبكى عـليـهـا وهى مـيـتـة لما ... لاقـيت من تـعب بعـيـد وفـاتهـا

وأغض عـمـا كـان مـن هفـواتهـا ... رعـيًـا لما قـد كـان من خـدمـاتهـا

وأرى الوفـا يدعـو إلى هـذا البكا ... أسـفًـا على مـا فـات من ثمـراتهـا

فـالله يـرحـمـهـا ويغـفـر وزرها ... ويثنيـهـا الحـسنى عـلى حـسناتهـا

فصل -فى ذكر هذا القدر من النساء المتوفيات رحمهن الله تعالى-

كفاية لمن تريد بما كن عليه من القول الطيب والعمل الصالح، ولم أذكر أحد من النساء العائشات اكتفاء بما ذكـرته من حال المتوفيات حيث قد انطوت صحائف أعمالهن، بخلاف من هن فى قيد الحياة فإنهن لا ينتهى ولا ينقضى تطورهن، بل إنهن آخـذات بالتقـدم، وبعد الموت ينتـهى وصفـهن بارك الله بحيات الصالحات منهن.

نداء إلى إخواننا النساء

يا معـشر النساء ها قـد قصصت عليكـن فى هذا الكتاب ترجمـة ثمان وعشـرين امرأة من جنسكن ونوعكن، وفى كل واحـدة منهن صفـات ومزايا

منها ما هو وهبى لا يمكن التشبيه به كالشرف والجمال، ومنها ما هو كسبى كالعلم والتقوى والزهد والعفة. وغير ذلك مما هو فى مقدرتكن أن تتحلين به (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب) ويجدر بكن وأنتن النوع اللطيف للجنس الشريف (الرجال) أن تتخلين بما ذكر فى تراجهن من الصفات الحسنة، فإنه شرف لكن وذكر وفخر وذخر فى الدنيا والآخرة وليس فى خلقكن وطباعكن ما يمنعكن من التحلى بالصفات الحسنة وأنتن المشبهات بالقوارير فى قول النبى ﷺ ومن شأن القوارير - وهو البلور - أن ينطبع بها كل شىء، وما أحسن المطبوع أن يكون مما يستجاد ويستحسن وترين فى تراجمهن كل فضيلة ومنقبة جميلة من عفاف وستر وصيانة وحياء وعقل، وذكاء وأدب وتربية وعلم وفهم ودين وتقوى، وصلاة وصيام إلى غير ذلك من طاعة. أزواج وتربية أولاد، وليس فى تراجمهن تبرج ولا تهتك ولا خلاعة ولا كشف ساقين ولا حسر عن ذراعين ولا تزين وتعطر للخروج فى الطرقات، ومزاحمة الدهماء فى مراسح الله و ومسارح الخلاعة وبؤر السفاهة، ومواخير الفجور. فإن كل ذلك من الأمور الشائنة العائبة التى لا يليق بالنساء أن يتصفن بها، فاعتبرن بما ذكر من تراجم أحوالهن، وتعلمن ما يلزمكن من أحكام الدين، وتمسكن بأدب الشرع الإسلامى، واطلبن من أولياء أموركن أن يعلموكن ما لا تعلمونه منهن. حتى تذكرن بالخير بعد مضى أيامكن يا معشر النساء: إن فى غير المسلمات من جنسكن نساء متحليات بكثير من الصفات الإسلامية التى يندر أن يوجد بعضها فى كثير من النساء المسلمات، وأنتن أحق بميراث دينكن دين الإسلام الذى هو الدين الحق الذى لا يقبل الله التدين بغيره كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) فعيب عليكن، ونقص بكن، أن تضيعن محاسن ما

جاء به دينكن، وتعمدن للتشبيه بالإفرنج فى خلاعاتهن وسفاهاتهن فأنت تأخذن بالتافه المزرى العائب من أخلاقهن، والبعض منهن يأخذ بالنفيس المشرف الزائن من صفات دينكن، والله يا معشر النساء ليس لكن جمال ولا كمال ولا أدب ولا تربية ولا شرف إلا باتباع أوامر دينكن واجتناب نواهيه، وكل ما عدا ذلك من اتباع الهوى ومجاراة النفس والشيطان فيما يريدان شر لكن، ووبال عليكن، وحيف بكن، تؤزرن عليه لا تؤجرن، وتعذبن بسببه ولا تنعمن، وكدة العمر مهما طالت قصيرة، وأمامكن دار تحاسبن فيها على كل ما كان منكن من قول وعمل لا يرضى الله ورسوله فارفقن بأنفسكن، واكففن عن شهواتكن، وارحمن أنفسكن من عار العاجلة، ونار الآجلة. وتذكرن قول السيدة فاطمة النبوية: والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئًا، ولا أدركوا من لذاتهم شيئًا، إلا وقد ناله أهل المروآت، فاستتروا بجميل ستر الله تعالى، فاسمعن يا أيها النساء وأطعن، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله، (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) واعرضن عن قراءة المجلات والروايات والجرائد والحكايات المفسدة للأخلاق، المذهبة للمروآت، فإن فى كتب الدين الإسلامى الكفاية والغنى لمن أراد الكمال والأدب والشرف وحسن الذكر فى الحياة وبعد الممات. ولا تغتررن بمن يزين لكن عملكن، فإنهم طلاب صيد، وأصحاب كيد، ولا يمهم من أمركن إلا ما فيه قضاء أربهم سواء أشقيتن أم سعدتن، ورحتن أم خسرتن، فإنهم أعداء لكن كالذئاب، عليهم من جلود الغنم ثياب ورحم الله من أبكاكن ولكن للخير هداكن، ولعنة الله على من أضحككن ولكن فى الشر أوقعكن.